

فريحا - انيس

نظرة في معجم الشيخ عبد الله العلايلي

492.73
F84nA

~~11-1-52~~

~~11-9-58~~

~~JN 16-58~~

~~FE 11-58~~

~~2-007-1079~~

~~3-007-1079~~

نظرة

في

معجم الشيخ عبد الله العلايلي



انديس فريضة

نظرة

في

معجم الشيخ عبدالله العلايلي (١)

يقول الشيخ عبدالله العلايلي ، واضع المعجم ، في مقدمته (ص ٢٣)
« ... فكل قارئ هو مدعو ، مع شكري ، الى ابداء الرأي حتى ولو مشوباً
بالازورار ... » واننا نقبل الدعوة ، وسنبدي الرأي باخلاص لا بازورار ، اذ
نحن بصدد قضية فكرية خطيرة : وضع معجم اللغة العربية العتيد ، وهي قضية
لا تتحمل المجاملة .

عندما تسلمت الكراس الاول من المعجم المتوسط (ص ٢٣) كتبت الى
الشيخ شاكرآ وقلت فيما قلته « ... وقد اتى الكراس الاول من معجمكم
مكذباً لما قلته مراراً كتابة ومحاضرة من ان القاموس لا يضعه فرد ، لان
ذلك فوق طاقة مخلوق . »

وقلت ايضاً : « ... انني ساقراه قراءة محاسب وسنلتقي مرة اخرى

(١) المعجم ، موسوعة لغوية علمية فنية ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٤ وقد ظهر منه
الى الآن كراس واحد ، من ١ - اخين .

بعد ان اكون قد قرأت المتن .» وقد قرأت المتن ، متن الكراس الذي ظهر ،
قراءة متأن متفهم .

لا اشك في ان شعار الشيخ عبدالله ، عندما اقدم على هذا العمل العلمي
الخطير ، كان بيت المتنبي :

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

وليس لي ان استرسل في التقريظ ، فقد ظفر الشيخ منه بقسط وافر ،
ولكنني أوتر ان ابدي بعض الملاحظات البناءة التي سيمتسح لها صدر الشيخ
عبدالله . والعالم رحب الصدر . وقد يأخذ بها وقد لا يجد لها مبرراً . غير اننا
نود ابداءها الآن والمعجم لا يزال في الطور الاول من ظهوره .

بالرغم من اعجابي بالطموح الذي فاق طموح المتنبي في بيته الآنف الذكر ،
وبالرغم من اكباري الجهد العظيم ، وبالرغم من تقديري للجلد الجرمانى الذي
ابداه الشيخ ، فانني لا ازال عند رأيي الاول : من يحاول ان يضع قاموساً
مرجعاً للغة العربية تامّ الشروط بتاريخها المديد وبمدونها الكثير انما يحاول
المستحيل ، لان الأمر اعسر من ان تتحملة طاقة الانسان معرفة وعمرأ . وها
هي قواميس اللغات الراقية على رفوف المكتاب تشهد انها ظهرت الى الوجود
اولاً كنتيجة جهد فردي - كما فعل المعجميون العرب القدامى - ولكنها نضجت
واستوفت شروطها في عصور متأخرة نتيجة الجهد الجماعي . ونحن لا نقول هذا
انتقاصاً لعلم الشيخ ولا تثبيطاً لعزمه ، بل لانها الحقيقة المجردة : وضع المعجم
عمل جماعي يشترك فيه اللغوي كما يشترك فيه العالم والاديب والفيلسوف والفنان .

وقبل ان نبدي ملاحظتنا نرغب في تذكير القارئ بحقيقتين قد تبدوان
على شيء من الابتذال ، اولاً تعريف المعجم ، وثانياً حالة المعجم العربي الراهنة ،
وذلك ليتسنى لنا تقدير معجم العلابي تقديرأ موضوعياً .

تعريف المعجم

هناك انواع كثيرة من المعاجم ، فمنها ما وُضع لاولاد المدارس الثانوية ، ومنها ما وُضع للطلاب الجامعيين . وهناك معاجم للهجات ، واخرى لحقبة معينة من تاريخ اللغة ، واخرى لسكاتب او شاعر ، اي ثبت بالمفردات التي استعمالها في نتاجه الادبي . وجميع هذه المعاجم لا تدخل في نطاق بحثنا ، انما يهمنا المعجم المطوّل ، المرجع النهائي (Grand Thesaurus) . هذا المعجم المرجع ، في عرف الناس ، كتاب في مجلد او اكثر تدوّن فيه مفردات اللغة كما اقرّها الاستعمال خلال التاريخ المدون لتلك اللغة . وقد سمي معجماً (واللفظة اسم مفعول من اعجم ، والهمزة هنا سالبة) لان وظيفته ازالة العجمة ، اي تفسير المعنى تفسيراً واضحاً دقيقاً وبلغة سهلة ، مع ذكر ما يجب ذكره عن ورود اللفظة في الاستعمال ، وعن تغيير المعنى بتغيير الزمان او تطوره من عهد الى عهد ، وعن الاصل والاشتقاق ، وهل اللفظة بمائة او حية .

حالة المعجم العربي الراهنة

ومعجمنا العربي ، كما يمثله « لسان العرب » « والتاج » « والقاموس » ومحيط المحيط » وغيرها ، في حالته الراهنة ناقص تشوبه شوائب وتعتريه هنات نبّه اليها القدامى والمحدثون . فقد شكوا ، كما نشكون نحن ، من الفوضى في التنسيق والتبويب ، ومن الخلط بين مادة واخرى ، وعابوا على اصحاب المعاجم الخلط بين المعنى الحقيقي والمجازي (وقد حاول الزمخشري وابن سيده ، واحياناً الجوهري ، تلافي هذا النقص) واخذوا عليهم عدم الدقة في التحديد وعدم تقصي المعنى ، واهمال ذكر المولد والعامي ، ولم يفلحوا في تفسير الدخيل ، واطغر من هذه وتلك اعتمادهم روايات واستشهادات تفقر الى الشبوت . ونحن لا نعيد ذكر هذه العيوب انتقاصاً للخدمة الجلى التي اسداها اصحاب المعاجم القدماء انما نذكرها تبياناً للحقيقة : كانت عملهم عملاً فردياً ، ووضع القاموس اعسر من ان يقوم به فرد . وها هو تاريخ معجمنا يشهد على صحة ادعائنا ،

فمنذ المحاولة الاولى التي اتخذت شكل اطروحات - في الابل والحيل والاطعمة والالبان والاضداد والنوادر الخ - الى المحاولة الثانية عندما وضع الحليل ابن احمد الفراهيدي كتاب العين (إن صحَّت الرواية) ، الى المحاولات التالية التي قام بها ابن دريد والزبيدي والجوهري والقالي البغدادي وابن سيدة والزحشري وابن منظور والفيروزبادي وغيرهم ، نشهد عملاً فردياً يعتمد عملاً فردياً سبقه .

* * *

على ضوء ما تقدم ، لنا ان نسأل : هل وُفِّق العليلي في محاولته الجريئة ؟ وهل ينطبق تعريف المعجم على معجمه ؟ وهل تلافي النقص الذي شكاه ويشكو منه الناس ؟

أما ان للشبّخ عبدالله العليلي فضلاً في محاولته الرائعة فأمر لا يحتاج الى اقامة دليل . وعندنا ان فضله على المعجمية العربية ينحصر في ثلاثة مبادئ يؤمن بها الشيخ ويؤكددها ويجهر بها . ونحن نقرّ عليها مع شيء من التحفظ في بعضها :

(١) يحاول العليلي ان يثبت قدرة العربية على التعبير عن الفكر العصري في جميع نواحي نشاطه ، وذلك لانها لغة اشتقاقية مرنة لينة مطواعة . واذا كان هناك من نقصٍ بادٍ فيها فانما مرده الى نقص في ابناءها لا الى صفة ملازمة للعربية . ونحن نرى رأيه في حسنات الاشتقاق من حيث انشاء اللغة انما يخالفه الرأي في ليونة العربية وطواعيتها ، وذلك لانها تتصف بميزات بدائية احتفظت بها من شأنها ان تقف حاجزاً في سبيل كونها لغة الحياة اليومية . واشدها خطراً الاعراب الذي اتصفت به اكثر اللغات القديمة ، ولكنه سقط عنها عندما اصبحت هذه اللغات لهجات محكية تعبّر عن الحياة . وكل لغة ، كي تكون لغة صالحة حية تعبّر عن الحياة ، يجب ان تسير سيرها الطبيعي ، ومتى سارت سيرها الطبيعي فان اسقاط ما لا قيمة بقائيه له يصبح امراً محتملاً .

(ب) ومن فضل العلايلي على المعجمية العربية تأكيده التثبيت من معنى الجذر الاصيل . وهذا عمل جليل الفائدة يفتح امامنا مجالاً لوضع حدّ للفوضى الضاربة في المعاني المتباينة لمشتقات الجذر الواحد، ويفسح امامنا مجالاً آخر لوضع مصطلحات جديدة على طريقة الاشتقاق العربية .

(ج) ويأخذ العلايلي بمبدأ « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » وبالرغم من ان هذا مبدأ قديم اخذت به مدرسة الكوفة (منافسة مدرسة البصرة التي كانت تقول بالسماع) فان احياء هذه المدرسة التجديدية على يد الشيخ عبدالله العلايلي بعث لغوي يعود بالخير على المعجمية العربية .

ولكن ، الى جانب تقديرنا للعمل واكبارنا للاقدام ، لا يسعنا الا ان نبدي للشيخ بعض الملاحظات التي تتناول المبادئ العامة لا الجزئيات المحدودة ونجملها فيما يلي : -

(١) المعجم غير الموسوعة والموسوعة غير المعجم

المعجم ثبت بمفردات اللغة وتفسير معانيها ووجوه استعمالها كما وردت في مدوّن تلك اللغة خلال العصور الادبية . والموسوعة سجل للعلوم الطبيعية والفنون والفلسفة والدين والتاريخ وغيرها من مظاهر النشاط العقلي والروحي عند الانسان . والفرق بينهما ، سواء كان ذلك من جهة الغاية او الاسلوب ، جليّ واضح . ولا نعلم سبباً دعا الشيخ عبدالله للجمع بينهما في مؤلف واحد .

كنا نؤثر ان يكون عندنا معجم مرجع تام الشروط قبل الشروع بوضع موسوعة عربية . والموسوعة ليست من عمل الافراد انما هو عمل جماعي تتعهد له الجامعات او الحكومات او المؤسسات العلمية . وقد كنا نتغاضى عن اقام الشيخ عبدالله مفردات موسوعية مثل ابتيهمون ، ابدّون ، ابراكدا برا ، ابراميس ، ابركساس ، ابرياب ، ابستوايشي ، الابيسيدارية ، آجيو ، الاخردون ، الاخرناسية وغيرها لو انه اشعرنا ان هذه المفردات وردت في المدّون العربي ، كأن يقول لنا :

وردت لفظة ابراكدابرا في شعر الاخطل اوفي نثر الجاحظ ، ووردت لفظة ابستوليشي في شعر ابي نواس او في نثر المنفلوطي . فانه في حالات كهذه يتوجب على واضع المعجم اثباتها واذا لم تكن واردة في اللغة فان اثباتها في المعجم تكلف .

ثم نحن نتساءل : هل وفي الشيخ هذه المفردات الموسوعية حقها من التفسير؟ فان لفظة ابراكدابرا مثلاً سامية ، من الآرامية وليس من العبرية ولا من الفارسية . واللفظة مركبة من $Abra + ka + dabra$ ومعناها « زائلة او عابرة مثل الكلمة » ^(١) . وكانت حروف هذه العبارة في العصور المتوسطة تكتب في مثلث متساوي الاضلاع (تحت تأثير الفلسفة العددية الفيثاغورية) هكذا :

a b r a k a d a b r a
a b r a k a
a b r a
a b
a

وتستعمل حجاباً او قسمة يتعوذ بها المصاب بمرض . نحن نخشى ان تسفر محاولة كهذه (الجمع بين المعجم والموسوعة) عن مؤلف لا هو بالمعجم ولا هو بالموسوعة .

(٢) لم يبدأ العليلي في وضع معجمه من حيث يجب ان يبدأ به .

ان نقطة الانطلاق في وضع المعجم جمع المدوّن ^(٢) اولاً وترتيبه ترتيباً زمنياً وتصنيفه تصنيفاً نوعياً . ثم تدوين المفردات ومعانيها كما وردت في هذا المدوّن . وهذا الاسلوب يتمشى والناموس الطبيعي : وضع القاموس ، اي تدوين المفردات وتفسير معانيها ، يتلو ذو اللغة وازدهارها واستعمالها كلفة ادبية .

يشكو المتأدب العربي ، عندما يلجأ الى المعجم لتفسير ما استغلق من

(١) ربما كان الجزء الاول من الكلمة abda اي بائدة لا abra اي عابرة ، والمعنى واحد .

(٢) اي ما كتب في اللغة من ادب وعلم وفن ودين ... الخ

مفردات ، من الفوضى البادية في المعاني المتباينة للجذر الواحد او للمشتق الواحد ، فكانه امام آراء متناقضة جمعت على السنة الرواة دون تحقيق وتمحيص . نعم ، ان تعميمنا هذا لا ينطبق على جميع مفردات اللغة اذ ان بعضها مثبت بالاستشهاد المعروف من مدوّن اللغة ، ولكن كثيراً من المعاني المثبتة في معاجمنا ينقصها الشاهد المثبت .

واود ان أمثّل للقارئ الذي لا يعرف مشاكل المعجم العربي بجاذبة وقعت لي اثناء تدريسي في الجامعة . فقد وردت في نصّ عبراني لفظة « حوب » ومعناها الاثم . ثم وردت في نص سرياني بمعنى المسؤولية ثم الدين . واذكر اني قلت للطلاب ان اصل المادة الاثم . واللفظة سامية مشتركة وردت في القرآن بمعنى الاثم « انه كان حوباً كبيراً » ومنه الحوباء . وورد في حديث (لسان : تحت مادة حوب) ان رجلاً اتى النبيّ يقول : اني اتيك لاجاهد معك . فقال : الك حوبة ؟ قال : نعم . قال : ففيها فجاهد . وفي حديث ان ابا ايوب الانصاري عندما طلق ام ايوب قال له النبيّ : « ان طلاق ام ايوب لحوبٌ . » وظاهر ان معنى اللفظة في العربية ، بناء على استعمال النبيّ لها ، يتفق ومعنى اللفظة في العبرية والسريانية .

ولكن اذهب الى القاموس العربي وقتش عن معنى هذه اللفظة ! فانها تعني ، من جملة ما تعني :

« الابوان ، الاخت ، البنت ، وذو القرابة يُعمال ، والحاجة ، ورقة فؤاد الام ، والمسكنة ، والعقر ، والهلاك والحزن وقل الوحشة والوجع والشكوى ، والضرب او الفن ، والاثم ، والحوبة الرجل الضعيف ، والحوب النفس وقيل روع القلب ، والضخم من الجمال ، وزجر الجمل ... »

على واضع المعجم ، امام هذه الفوضى في المعاني ، ان يتأكّد اولاً من صحة الرواية والاستشهاد ، فانه ليخامرنا (كما خامر القدماء) ريب في ان هذه الروايات

والاستشهادات تفنر الى ثبوت . ولذا قلنا ان نقطة الانطلاق في وضع معجم مرجع هي جمع المدوّن وتسجيل معاني المفردات كما اقرها الاستعمال . ولا بأس ، عند غموض المعنى وتضاربه ان نرجع الى اخوات العربية ، او الى الحدس المعقول وابداء الرأي الشخصي على ان يكون متبوعاً بعلامة السؤال (؟) دلالة على عدم اليقين .

ومن هنا يدرك القارئ معنى قولنا مراراً وتكراراً ان عمل القاموس عمل جبار يحتاج الى تضافر قوى جماعة كبيرة من الناس ! نعم ان كثيراً من المفردات مثل اكل وشرب ونام لا تحتاج الى كبير عناء في الاستشهاد والرواية ولكن عندما نأتي الى لفظة مثل « حوب » علينا ان نرجع الى المدوّن للثبوت من ورودها ومن معناها .

سيقول الشيخ عبدالله : ولماذا لا ينتظر انيس فريجه الى ان اصل الى جذر « حوب » فيرى ما ساقوله ثم يحكم علي او لي ؟ ونحن لم نستشهد « بحوب » لانها وردت في معجمه فهو لم يصل بعد الى حرف الحاء ، انما رغبتنا في تبيان الفوضى الضاربة في المعجم العربي للقارئ العادي والتي نرجو ان يتصدى لها الشيخ عبدالله العلايلي في عمله المعجمي . ولكن يبدو ، مما لدينا من معجم العلايلي ، ان المشكلة (مشكلة حوب) لا تزال قائمة في كثير من المفردات . فان الشيخ يقول تحت مادة ابض (ص ٤١) :

« ابض - ... المطلق من الحيوان : عقله بشد رسغ يديه الى ذراعيه . وابض المقيّد خلاه ، وابض مصارعه : اصاب عرق إباطه . وابض الغلام : احتمله بجعل يديه تحت ركبتيه . وابض المتحرّك : سكن . وابض الساكن : تحرّك..... وابض الفرس : تقبض نساه وتشنّج...»

فما معنى « أبض » ؟ حسب ورودها في المعجم العربي ، وعنه اخذ العلايلي ، تفيد الربط والتقييد والفك والاخلاء والحركة والسكون والتشنّج !!! اذا كان

المعجم المرجع العتيد لا يستطيع حلّ هذه الاحاجي فسنبقى في هذه الحلقة المفرغة .

(٣) تشتق المفردات الموضوعة من المأنوس ولا تكون جزءاً من المعجم

وقد تسرّع الشيخ عبدالله واشتق كلمات جديدة لمعاني جديدة نفتقر اليها العربية من جذور مائة او في حكم المئات . نحن نؤيد الشيخ في المبدأ ، ونؤمن ان له من الحسن اللغوي ما يؤهله للقيام بهذا العمل الخطير ، ولكننا لا نفهم لماذا اندفع في الاشتقاق والوضع من جذور وردت في كراسه الاول مثل :
اب ابت ابث ابج ابخ ابز أبش ابض ابل ائب اتد اتش أثأ الخ

ولم يشتق من المأنوس المؤلف الذي له كيان ومعنى في عقول العرب . فمن جذر « أب » مثلاً يقترح شيخنا « الآبّة : آلة تجفيف الفاكهة » واية آلة هي هذه ؟ ولماذا لا نشق لها اسماً من جذر « جف » او « نشف » او « ييس » ؟ وكذلك يقترح من الجذر ذاته « ابابة » في مقابل الانكليزية mechanurgy (كذا !) : « فرع من الميكانيكية يبحث في الآلات المتحركة ، والاباب : مطلق المحرك في الآليات » . ولماذا لا نشق كلمات لهذه المعاني الجديدة التي نفتقر اليها العربية من جذور مأنوسة مثل « حرك » ؟ ويتابع الشيخ اشتقاقه من المادة ذاتها فيقترح : « ابيبة : الجهاز في الآليات خاصة (appareil) وابيبة اصدار : لاسلكي » ولكن لماذا هذه الاشتقاقات من « أب » وليس من بث ، صدر، ذاع او بما هو اليها ؟ ومن جذر ابج يشتق « أباج دليل المتاحف المصور » وإماج الكتلة الضخمة من الزمن (؟) المرتسمة بآثارها في المكان والسكان (؟) اي المزاج الزماني المكاني الحيوي (؟) وتندرج تحته العصور ، تقول الاباج القديم (فر Paleolithique)^(١) . ثم ان الشيخ يشتق الفاظاً جديدة من مادة « أبض » (ص ٤١) المماتة او التي هي في حكم المئات ، او الثقيلة السمجة . واننا

(١) علامات الاستفهام من عندنا وليس من متن المعجم ، دلالة على اننا لا نفهم تماماً ماذا يريد ان يقول . لفظة Paleolithique بسيطة مفهومة وقد ترجمت الى العربية بالعصر الحجري القديم ، وكفى الله المؤمنين القتال !

ننقل الى القارىء بعض ما ورد تحت هذه المادة « اخو اباض المتهم العاقد ما بين حاجبيه ضيقاً ، وموَّلد حديث في مقابل الفرنسية frein : اداة توقيف او تخفيف سير الآلة... » وكيف يريدنا الشيخ ان نعرِّبها ؟

هذا اخو اباض

اشتريت أخا اباض

ضغطت على اخي اباض

ومن المادة ذاتها يضع « إباضة : فن ادوات الربط عامة كافراملات وما يشبهها ونظريتها ومعادلاتها الرياضية ... » ولماذا لا ينتظر الشيخ ، في تشوفه الى الاشتقاق ، الى ان يصل الى مادة ربط ، كبح ، ردع ، وقف ، او ما هو اليها ؟ وادهى من هذا ان يضع الشيخ مفردات جديدة لمعاني جديدة غريبة لا نشعر بالحاجة اليها البتة ، لانه يمكننا ان نعبر عنها بطريقة ايسر واجمل وافصح . خذ مثلاً ما يضعه الشيخ من مشتقات من مادة « أثب » (المشبوهة المطعون بصحتها !) : « في الاصول اللغوية اضطراب بمعناه نتيجه التصحيف . ففي « اللسان » وقع بمعنى الفقر وفي « التاج » بمعنى القفز » ويرجح الشيخ القفز ، ثم يشتق : « أثاث : نفسياً ما يمكن ان يسمى بعصاب الترف .

أبائة : النازعة في دور انحلال الخصائص او تقهقرها عند الطبقات المترفة . إبائة الفن الترفي المتحلل وهو يتناول اسلوب العيش والسلوك والاثاث والموسيقى .

أثاث : المصاب بشذوذ جمع التحف الزخرفية وهو شكل من اشكال ما يسمى في مدرسة التحليل النفسية بالجماع the collector المندفع الى هذا الجمع برغبات غرامية لذية غير مشعور بها .

أبث : فساد خصائص الاصل فيقابل فر abâtardissement .
أبثان : اسلوب السلوك الخاص بالطبقات المترفة وانماط حركاتهم وتصرّفاتهم .

ونحن نقف امام هذا السيل من الاشتقاقات حياري، لا من جهة المبدأ فاننا نقره عليه ، ولكن من جهة ضرورة هذه الاشتقاقات. هل العربية الحالية عاجزة عن التعبير عما ذكره الشيخ حتى نلجأ الى فعل ثقيل سمج بمات ؟ وهل هذه الحالات التي تكلم عنها الشيخ تحتاج الى مصطلحات جديدة ؟

وبهذه المناسبة نبدي الملاحظات التالية : (ا) لا تولد اللغة في مختبر ولا توضع في مؤتمر حول طاولة مستديرة . يخلق اللغة الناس : علماءهم وشعراؤهم وفلاسفتهم وفنانوهم .

(ب) عمل المعجمي ان يُمدّد الكلمة الجديدة ويباركها ويسجلها في معجمه لا ان يضع هو اللفظة ، ولا سيما اذا لم يكن وضعها من اختصاصه . وضع المصطلحات الجديدة منوط بالعالم والاديب والفنان والفيلسوف الذين يعالجون قضاياهم معالجة علمية واقعية ، وهم اخبر من اللغوي فيما يرمون اليه .

(ج) يستحسن ان تنشر المصطلحات الجديدة في كراس خاص او في مجلة علمية وتترك للزمن الذي يعمل كمحك لصلاحيتها . فان شاعت وقبلها الناس ادرجت في المعجم والا فانها تبقى مجرد اقتراح . لان ايرادها في متن المعجم من شأنه ان يحمل الناس ، ولو لا شعورياً ، على التسليم بقبولها .

(٤) التثبت من معنى الجذر الاصيل لا يتحمل الحدس والخيال

ويرمز اليه الشيخ عبدالله في معجمه بـ « حد » اي الوحدة الاشتقاقية وحكاية تطور الجذر . وقد المعنا آنفاً الى اهمية هذا البحث والى فضل مؤلف المعجم في التأكيد على هذه الناحية اللغوية . والتثبت من المعنى الاصيل ليس امراً سهلاً في كثير من الجذور ، ولكن لا مجال فيه للحدس والخيال .

ان الاسلوب المتبع في هذا الشأن يحتم على الباحث ان يتقصى معاني المشتقات ، كما وردت في الاستعمال ، عليه يرى فيها المعنى الذي يكون بمثابة « المخرج المشترك » . واذا كان التفاوت بين معنى وآخر ، في الجذر الواحد ، كبيراً يلجأ

الباحث الى اخوات اللغة التي يعنى بها . وقد جرى على هذا المنوال المستشرق الشهير Gesenius عندما وضع معجمه للغة العبرية ، وتابعه في ذلك الذين اتوا بعده . وقد جاء معجمه آية في الدقة ومثالاً للاسلوب العلمي . فاذك ترى بعد الجذر قوسين بينهما ذكر المعنى الاصيل ، ولكن بكلمة او بكلمتين كان يقول اصل المادة النزول او القعود او القطع او العلو... الخ وكثيراً ما تقع عينك على dub. اختصاراً لكلمة معناها مبهم ، غامض . وترى احياناً علامة استفهام (?) ، دلالة على الجهل . وفي كل حال لا نرى حدساً ولا خيالاً كما فعل الشيخ عبدالله ، فانه يرى في اكثر المعاني الاصلية اسطورة ، او « ترهية » حسب مصطلحه ، او صورة دينية او عقائدية ، فكانه نسي او تناسى قانوناً لغوياً لا يشك في صحته :

المعاني الاولى مادية محسوسة ملموسة ، غير ان اللغة تصعد اي ترتفع بالمعنى من المحسوس الى المجرد المعنوي كما صعدت العربية العقل من الربط والنفس من التنفس والمجد من امتلاء بطن الدابة !

ونحن نأخذ على الشيخ عبدالله ، في هذا الباب ، ايغاله في حدس لا مبرر له كما فعل عند بحثه مادة ايس ابق ابل اود اخر فان اكثر العرب لا يستطيعون مجاراته في هذا النظر الممعن الغامض .

الراجع الى القاموس يريد المعنى خالصاً مختصراً صريحاً واضحاً كان يقال له اصل المادة كيت وكيت وكفى . اما ان نرجع الى عصور سحيقة في القدم ونربط معنى الجذر « بترهية » ما فامر يعرض صاحبه الى مزالتق هو بغنى عنها . فعند كلامه عن مادة « ابد » كان عليه ان يقول ، وبين قوسين (واصل المادة الحراب والقفر والهلاك) لان هذا هو المعنى الاصيل للفظه بعد تحقيقنا لها في معاجم اللغات السامية التي بين ايدينا . وكذلك عند كلامه عن مادة « اخر » فقد جزم ان معناها القديم « القبر » ونحن نرفض هذا الرأي لان معاني الجذر في مختلف اللغات السامية يدل على التأخر والمؤخرة والاعاقة (ضد معنى امام) .

ثم ان اللغة التي يستعملها العيلالي عند تفسير معنى الجذر على غاية من التعقيد، والمعجم لازالة العجمة لا للزيادة منها. يقول تحت مادة ابج (ص ٢٩) «العزم العتيد في الموامد فاشتق منه لما اكتسب صفة الديمومة بظروف طبيعية» وهذا كلام لا نفهمه ، لان مادة ابج بمائة ، والشيخ نفسه يشير الى القلق المستحوذ على هذه المادة . ثم يقول تحت مادة ابخ (ص ٣٠) «العزم الفاعل تحت ضغط انفعالي...» «وتخصيصاً» التأنيب المنصب على الفعل ذي المنهج المنحرف» وتحت مادة ابر (ص ٣٢) يقول «العزم النافذ بفعل منشيء او قل بمس خالق...» وتحت مادة ابض (ص ٤٠) «معقد عزم الحركة الواقع بين مرتكزين ، ينثنيان او ينقبضان...» وتحت ماده ابق يقول «العزم المستقوي وذلك في دائرة ما هو مطبق محصور ، فاشتق منه الابق لكسر الطوق المعنوي ترداداً ، والتأبق لحبس اللبن في الضرع حروناً... ومجازاً نقل الى مطلق التمتع كالانكار والتواري والتأثم .»

وملاحظتنا في هذا الباب ان لغة الشيخ معقدة غامضة لا يستطيع فهمها جل الراجعين الى القاموس . وهناك امر حيوى نرغب في ان نصارح الشيخ به: هذه الجذور ميتة وماتت لان الحياة العربية نبذتها والميت لا معنى له ، فلماذا هذا العناء ؟

(٥) اهمال ذكرو الملمات

وكما انه من عمل المعجمي تفسير معاني المفردات وذكر المولد والدخيل عليه ايضاً ذكر الملمات في اللغة .

من الامور المقررة الثابتة في «علم اللغة» (linguistics) ان جوهر اللغة التركيب وان المفردات عرض، لانها تولد وتعيش وتهرم ثم تموت. اما التركيب فجوهر ثابت في كل لغة . ويشكو معجمنا العربي من نخمة الملمات فيه . وكنت اقنئ لو ان احداً من الناس تصدى لاحصاء الملمات في معجمنا ولكني لا اعلم ان احداً جاهر ولو باحصاء تقريبي . اما انا فاجرؤ واقول ان ربع «اللسان» مات . ويتساءل الواحد منا ما مستقبل هذه الكلمات في معجم اللغة ؟

وعندي ان مشكلة المعجمية العربية ، في هذا الباب ، تنحصر في امرين :

(أ) التأكد من ان اللفظة وردت حقاً في مدون ما ، لا بناء على رواية بدوي اتى المرید فوجد جماعة يتخاصمون في معنى لفظة فكان يحل لهم المشكلة على ايسر وجه ! وتمثيلاً على اهمية التأكد من ورود الكلمة في مدون نذكر ما جاء في معجم العلابي تحت مادة أَبَزَ : « ... وَأَبَزَ بِالْجَبَانِ اخذه على غرة فمات... » هل استطاع العلابي ان يقول لنا من استعمال هذه اللفظة بهذا المعنى واين ، ومتى ؟ وكذلك يورد العلابي (ص ٤٣) « أَبِكَ الرجل كثر لحمه فحِمق . هل وردت ؟ من استعمالها ؟ وهل اذا اكثرت لحم الرجل ولم يحِمق نستعملها ، ام علينا ان ننتظر قرناً من الزمن لكي يكثر لحم زيد من الناس ويحِمق لنقول : أَبِكَ زيد ! وما قولك في « ... ائثى ائثاء . ائثى الرجل الطعام فارفته شهوته » (ص ٧٤) ؟

ان المرء ليحار بامر المعجم العربي الذي يحتوي على الفاظ غريبة نادرة لا تخطر على بال انسان بينما الدنيا حولنا تعج بالوف الاشياء والوف المعاني التي لا الفاظ لها: النبات ، الحيوان ، الالبسة ، الاثاث ، المختبر ، الآلات ... الخ ولكن اذا صدف ان زيدا من الناس اخذ عمرواً من الناس على غرة ، وكاف عمرو ضعيف القلب ، فمات بسكينة قلبية ، فان العربية تعبر عنها اجمل تعبير : أَبَزَ زيدٌ عمرواً !

(ب) والأمر الثاني ، وهو نتيجة لما سبق ذكره ، وجوب اضافة كلمة «مات» بعد الالفاظ التي هي في حكم الممات واقعاً ، او على الاقل يقال « هكذا وردت في المعجم » او علامة السؤال دلالة على اننا لا نعرف من امر الكلمة كثيراً . المعجم المرجع للغة العربية يجب ان يتكفل هذا الامر . عليه ان يقول للناس هذه لفظة مماتة ، او قلقة ، او مبهمة او لم ترد في المدون العربي ، او يشك في معناها ليكون المرء على بينة من امر الكلمة . وكما نتقرب ان يقوم

بهذه الخدمة الجلى للعربية شيخنا العلايلي . ولكننا نخشى ، ان هو لم يفعل هذا ،
ان يأتي معجمه في معظمه نسخاً عن القدماء .

(٦) عند تفسير معاني المفردات لا يستعان بلغة وبلغتين اجنبيتين

لانه لا يفترض في كل راجع الى المعجم ان يعرف لغة اجنبية . ليس لدينا
اقل اعتراض على معجم يثبت المصطلحات الجديدة من مولدة ومعرية ودخيلة ثم
يذكر مقابلها في لغة اجنبية معروفة كان يقول مثلاً « المشع » : radioactive . هذا
ضروري احياناً تحديداً للمعنى والاستعمال . ولكن ان يلجأ العلايلي لذكر الواضح
المفهوم فعناء هو بغنى عنه ، ونفقات طبع لا مبرر لتحملها . ومثال على هذا
يقول العلايلي (ص ٢٨) : المأبون : المتهم (فر suspect) و ص ٩٠ تحت مادة
اخذ : « واخذ الشيء تناوله بجيازة (انج receive ; to get) واخذ حذره : تهاً
(انج to take care) (١) واخذ الجائزة : نالها (انج to get, to obtain) و ص ٩١
يقول « ... وفي التنزيل . « لا تواخذني بما نسيت » (انج excuse me) (٢) .
ولا يسعنا الا ان نقف متسائلين : هل ترجمة هذه الكلمات الشائعة المعروفة الى لغة
اجنبية ضرورة لغوية ؟ هل هناك من فائدة ؟ ولماذا لم ينقل كل عبارة عربية الى
مقابلها الاجنبي اذا كان مراده وضع معجم عربي - انكليزي او عربي - افرنسي ؟
ثم لماذا اللجوء الى اللغتين الفرنسية والانكليزية عوضاً عن الاكتفاء بلغة واحدة ؟
وقد لحظنا ان الشيخ عبدالله ، عند ذكره المقابل الفرنسي او الانكليزي يشعر
شعوراً لا واعياً انه قد فسر الكلمة العربية المعنية مفتوحاً ان الراجع الى
القاموس يعرف اللغة الاجنبية كما فعل عند تفسيره « لا تواخذني بما نسيت » اذ اكتفى
بذكر المقابل الانكليزي . وهذا كثير في معجمه . ونحن لا نشك ان هذا السهو

(١) تهاً لا تفيد ما تفيدُه أخذ حذره و to take care تحتاج الى حرف جر ، واذا تبعها
حرف جر ، مثلاً of يكون معناها اهتم وحرص وانتبه الى الشيء .

(٢) لا نظن ان عبارة excuse me تؤدي ما تؤديه عبارة التنزيل (الكهف ٧٤)

سببه اراد المقابل العربي، ولو انه لم يورده لاضطر الى تفسير الكلمة العربية بكلمات عربية .

يجب الفصل بين معجم العربية المرجع لاهل العربية وبين المعجم العربي - الانكليزي (او الافرنسي) لاهل العربية ولغير اهلها . وكنا نتوقب ان يكون معجم العلايلي « المعجم المرجع » لاهل العربية .

(٧) الفصح النهجية

يقول الشيخ عبدالله في مقدمته ، عند ذكره حسنات المعجم (ص ٢١) :

« ١١ - تعقيب كل جذر بطائفة من الجمل الفصيحة المروية بعنوان « فصح نهجية » ونعني بها الكلمات الاتباعية التي جاءت ماشية مع عمود العربية ، فنحن نضع كلمة نهجية في مقابل كلمة classique »

والراجع الى القاموس يرحب « بفصح نهجية » اذا كانت من النوع الذي يعينه على فهم معنى الكلمة وحسن استعمالها وتبيان وقعها ، واذا كانت حقاً « نهجية » اي كلاسيكية (ونحن نفضل لفظة كلاسيكي على نهجي) . ولكننا على اختلاف مع الشيخ عبدالله في مفهوم الفصاحة والكلاسيكية ، فالفصاحة (ومنها فُصْحٌ) مصدر فصح واصل المادة الابانة والكشف والازالة . والفصيح في اللغة ما كان سهلاً على اللسان واضحاً في العقل . والكلاسيكي هو ما خلد ، ادباً كان ام فناً ، لجماله وروعته واثره . الكلاسيكي هو الذي ابقت عليه الحياة رغم عوامل الهلاك والفناء وذلك لاجباب الناس به على مر العصور . ونحن نقر الشيخ على المبدأ : تعقيب كل جذر « بفصح نهجية » تكون نموذجات للاجيال الناشئة . ولكن الشيخ لم يعقب كل جذر ، وحيث عقب الجذر بفصح فانه اتانا بما لا ينطبق عليه مفهوم العبارة « فصح نهجية » بل اتى الامر على نقیض هذا فان الشيخ رمانا بعبارات قاسية جافة خالية من عناصر الفكر والجمال . والعبارة الكلاسيكية تحل بقالها وبمعناها !! فاين الفصاحة واين الكلاسيكية في هذه الفصح :

« لا بد مع الرطب من سلاء النخل ، ومع العسل من ابر النحل ... خبثت منهم الخباير فمشت بينهم المآبر » (ص ٣٥) .

- « ما عنده الا أباشة وهو يأخذهم ببشاشة » (ص ٤٠) .
- « كانه في الاباض من فرط الانقباض » (ص ٤١) .
- « هجير أجاج للشمس فيه مجاج » (ص ٧٦) .
- « طلب الاجرة فاعطاه الآجرة » (ص ٨١) .
- « الموت لا تنجو منه الاسد في الآجام والملوك في الآطام » (ص ٨٦) .
- « يفسد المرء المجون كما يفسد الماء الاجون » (ص ٨٧) .

وملاحظاتنا عليها وعلى امثالها من الفصح انها متكلفة، عنصر الملمات فيها قوي، وهي اقرب الى التلاعب اللفظي منها الى العبارات ذات المعنى اللطيف . ثم ان الشيخ لم يذكر لنا المصدر الذي اخذ عنه هذه الفصح . واما اذا كانت من وضعه فلا يحق له ان يسميها كلاسيكية ، بل كان عليه ان يبقيا للزمن ليقول كلمته فيها . وليس لاحد من الناس ان يفرض عباراته واقواله فرضاً بقوله : خذوها فصحاء نهجية . ثم نريد ، ختاماً ان نسأل الشيخ : هل يريدنا ان نعود الى مدرسة الهمذاني والحريري واليازجي؟ الا يرى ان عصر المقامة قد ذهب الى غير رجعة؟

الا يرى معنا الشيخ ان الذوق العربي قد تغير وان الناس ينظرون في المعنى قبل المبنى ؟ في الادب العربي فصح نهجية كثيرة : في القرآن ، في نهج البلاغة في كتابات ابن المقفع والجاحظ وكثير منها في نثرنا وشعرنا الحاضر . ونأمل ان تكون الفصح النهجية في الكراريس المقبلة مقتبسة من ادبنا الكلاسيكي .

(٨) الاغلاط المطبعية

ولن نحمل الشيخ تبعثها لان المؤلف في بلاد الغرب يرمي بمخطوطته الى الناشر وهذا يتعهدها بالنشر والطبع الجيدين . وفي الغرب اناس مهمتهم قراءة المسودات .

وكل واحد منّا عانى التأليف ثم عانى الوقوف على طبع تأليفه يعذر الشيخ
عبدالله . ولكن الأمر هنا لا يتحمل العذر لأننا بصدد قاموس يرجع الناس اليه
عند التحقيق والتدقيق ، وإذا كان للغلط المطبعي مبرر فإن هذا المبرر يزول عند
طبع القاموس . القاموس لا يغلط ! هكذا يقول الناس . ونحن نأمل ان تأتي
الكراريس التابعة خالية من الاغلاط المطبعية التي تشوّش كثيراً . فاني اذكر ،
وأنا في ص ٧٦ مرت امامي « في مقابل انج Salima » فوقفت امام هذه
الكلمة حائراً . وبعد زمن ففهمت ان المطلوب Salina وذلك لان لا وجود
للفظة Salima في المعجم الانكليزي .

ولا يسعنا ختاماً الا ان نكبر الاقدام والجلد والتضحية عند الشيخ عبدالله ،
وندعو ان يأخذ الله بيده لاتمام هذا العمل الجبار . ونرجو ان يتقبل ملاحظتنا
بصدر رحب ، لانها صادرة عن اخلاص . القاموس لنا جميعاً وللأجيال الطالعة ،
وحق علينا ان نتعاون جميعاً في الخير والحق .

الجامعة الاميركية - بيروت

انيس فويحة

492.73:F84nA:c.1

فريضة، انيس

نظرة في معجم الشيخ عبد الله العلياني

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01025830

American University of Beirut



492.73

F84nA

General Library

492.73
F84nA